شهريات

بقلم رئيس التحرير

١ ـ الدائرة المفرغة ...

يراني اولادي باسطا امامي ورقة بيضاء ، فيتغامزون من حولي لحظة ، ثم يقول « سماح » :

ـ هل انت تؤلف ؟

فلا أجيب ، فتسأل « رائدة » :

ـ رواية جديدة ؟

فلا أجيب ، فتسأل « رنا » :

ـ قصة قصيرة جديدة ؟

فلا أجيب . ثم أقرأ الضيق في عيونهم لصمتي ، فأرفع رأسي عن الورقة التي لم اكن قد خططت عليها الا ثلاث كلمات ، وأقول في هدوء للوجوه الثلاثة المطلة من فوقي :

ـ اكتب مقالا للمجلة ...

وسرعان ما ترف الخيبة على قسماتهم ، وينطفيء البريق في عيني الصبي وهو يقول بلهجة ممطوطة :

ـ ييييه ... حسبناك تؤلف !

وينصرف الاولاد الى شؤونهم ، مخلفين أباهم مع ورقته البيضاء بعبارتها اليتيمة ذات الكلمات الثلاث ...

واكتشف فجأة انني ، اذ كتبت تلك الكلمات ، انما كنت اود التحدث عن « القضية » نفسها .

لقد كتبت : « تقول لي رفيقتي ... » واتابع الان : تقول لي رفيقتي :

ـ متى تبدأ بكتابة روايتك الموعودة ؟

واشعر انني سأكون مخادعا اذا تعللت ، هذه المرة ايضا ، بما كنت أتعلل به طوال الاشهر السابقة من حاجتي الى الراحة والاستجمام ، بعد العمل المضني الذي أغرقني فيه ، طوال اعوام اربعة ، وضع قاموس « المنهل » بالاشتراك مع الصديق الدكتور جبور عبد النور .

اذن ، فلأصمت ، او لأجد لنفسي عذرا آخر . واقول لرفيقتي :

ـ أتظنين من السهل ان يعود الى عالم الخلق الادبي والابداع الفني من انقطع طوال أعوام الى عالم المعاجم واللغة واسرار النحت والاشتقاق والتركيب ومحاولة التغلغل الى خفايا الفرنسية والعربية ؟ ـ الا تعتقدين ان بي حاجة الى فترة « نقاهة » استرد ّ فيها نفسي الادبي ، بأن أعود الى الاجواء الادبية ومتابعة التطورات التي تعيشها الآداب الاجنبية ومطالعة الآثار الحديثة ؟

وتقول رفيقتي :

ـ هذا ايضا موضوع فرغنا منه .. انك محتاج الى ذلك كله واكثر ..

ـ وكيف لي ان احصل عليه وانت تعرفين مسؤوليتي في « الآداب » و « دار الآداب » ؟

وتزفر رفيقتي ، وتقول بتململ :

ـ هل تنتظر مني ان اطلب منك الآن التخلي عن مسؤوليتك في المجلة والدار ؟ الم نتفق على ان افضل وسيلة لتحقيق ما تسميه « العودة الى الاجواء الادبية ومتابعة التطورات الخ .. انما هي معايشة المجلة والدار معايشة اعمق تحرص فيها على ان تشرك القراء بكل الهموم التي يعانيها الكتاب والمؤلفون ؟

قلت لرفيقتي بعد لحظة صمت :

ـ انت على حق . لقد كنت مضطرا في السنوات الخمس الماضية الى اهمال المجلة والدار بعض الشيء . ولولا انك حملت عني بعض اعبائهما ، لرزحتا . وقد اتفقنا منذ اشهر ، على ان نمنح المجلة دفعا جديدا في عامها العشرين .

قالت رفيقتي :

ـ شرط الا يكون ذلك على حساب الرواية الموعودة!

وضحكت ، لانها كانت واثقة من انها تعود بي ، مرة اخرى ، الى الدائرة المفرغة !

ثم اكتست ملامحها سيماء الجد ، وقالت :

ـ اسمع ! يجب ان تعترف بشيء : لقد لحق بريشتك الصدأ .. ولن يزول هذا الصدأ الا بأن تغمس ريشتك من جديد في الحبر وتكتب . اكتب . اكتب اي شيء . وليس من

الضروري ان تنشر . اكتب عن همومك . عن الجو الادبي الذي نعيش فيه . عن مطالعاتك . عن مشكلات الادباء ، من اصدقائك وغير اصدقائك . كن حاضرا في المجلة دائما. في كل عدد .. سيكون ذلك تمهيدا لعودتك ، سيكون بشيرا بزوال الصدأ عن ريشتك ..

قلت لها ، وقد عاودني اليها ذلك الحنان الذي اشعر به كلما مدت اليّ يد مساعدة في ازمة امرّ بها أو مشكلة تعترضني :

ـ سأفعل . سأفتح لي في « الآداب » نافذة « شهريات » .

يطل الآن سماح ، من فوق رأسي ، ليقول :
ـ اوه ... كتبت صفحتين يابابا ... انك اذن تؤلف؟!
واضمّه الى صدري وبصدري رعشة :
ـ ارجو ان أكون في الطريق الى ذلك ..

* * *

٢ ـ ازمة الثقافة في لبنان

دعا اتحاد الكتاب اللبنانيين الى عقد مؤتمر يبحث فيه « ازمة الثقافة في لبنان » .

وسيجتمع ممثلو الهيئات الثقافية ، من مجالس ومؤسسات ونواد ، ليتدارسوا هذا الموضوع .

وقد عرضت هذا الامر ، في جلسة تمهيدية ، فذكرت ان الدولة اللبنانية تفتقد اية سياسة او تخطيط تستهدي بهما في معالجة الشؤون الثقافية لدينا .

ولعلّ منشأ ذلك ان المسؤولين في لبنان يضعون الثقافة في آخر همومهم وشواغلهم ، واذا اتفق أن اولوها احيانا بعض اللفتات ، فانما يحدث ذلك بكثير من الارتجال والاعتباط .

ومن المؤسف ان يبلغ استهتار السلطة عندنا بالثقافة حدا اصبح معه « الاشعاع » اللبناني المشهور اقرب الى الاسطورة منه الى الواقع .. بحيث أن طابع التجارة والخدمات والسياحة والاصطياف الخ .. يفدو الان الطابع المميّز للبنان في نظر الاقارب والاجانب ، ويفقده تدريجيا ما يؤثر عنه من انه كان في اصل النهضة الثقافية العربية ، وان تاريخ اليقظة الفكرية والادبية والفنية مرتبط ارتباطا وثيقا بجيل من الرواد اللبنانيين .

وبالرغم من ان المبادرات الفردية هي التي ما تزال تحفظ لحياتنا الثقافية بعض مظاهر النشاط والحيوية ، في المسرح والرسم والموسيقى ونشر المجلات والكتب ، فان غياب الدعم الرسمي عندنا ، يجعل هذا النشاط محدودا جدا ، ويعرّضه باستمرار لازمات جدير بها ان تشلّه او حتى ان تقضي عليه ..

صحيح ان في موازنة وزارة التربية ما يسمى « مساعدات ثقافية » ، الا ان معظم هذه المساعدات كان يذهب في الماضي الى نواد وهمية او جمعيات لا تقوم بايّ نشاط !

واذكر هنا ان « اتحاد الكتاب اللبنانيين » قد اصاب من هذه المساعدات في عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٠ مبلغا تافها يخجلني ان احدّد هنا رقمه !.. وفي العام الماضي ١٩٧١ حذف هذا المبلغ كليا .. وحين راجعنا وزير التربية في ذلك ، سألنا : من انتم وماذا تفعلون ؟ فتذرعنا بالصبر والاناة ، والتمسنا للوزير عذرا في انه غير مطلع على الحياة الثقافية في البلد ، فكان علينا ان نوضح له ، بكل تواضع، ان اتحادنا يضمّ زهاء خمسين كاتبا يمثلون قطاعا عريضا من المثقفين اللبنانيين، بينهم جميع رؤساء تحرير المجلات الادبية اللبنانية ، ومندوبو الادباء اللبنانيين في المؤتمرات الادبية العربية والدولية .. وهمسنا له ايضا بان في اتحادنا مرشحي وزارة الاعلام اللبنانية لجائزة « نوبل » للآداب ميخائيل نعيمه وجورج شحاده !

واذكر كذلك اننا طلبنا موعدا من رئيس الحكومة لنبحث معه هذا الامر في جملة امور تتعلق باهمال الثقافة في لبنان ، وقد مرّ على طلبنا هذا اكثر من اربعة اشهر، فلم « يتكرم » بتعيين موعد لنا حتى الآن .. وقد التمسنا لرئيس الحكومة عذرا في انه مشغول عن الثقافة والمثقفين بالسفر الى الخارج والرحلات .. وسيظل مشغولا عنهم، حتى شهرين قادمين ، بالانتخابات ..

واذكر ايضا اننا كنا طلبنا موعدا لمقابلة رئيس الجمهورية منذ اكثر من تسعة اشهر ..

ولقد ذهبت الى القول ، في تلك الجلسة التمهيدية، الى ان هذا الاستهتار بالادب والادباء في لبنان ، في الوقت الذي يتمّ فيه رصد مبالغ محترمة لاتحادات الكتاب في العالم العربي ، دليل واضح على غياب الوعي الحقيقي لدى المسؤولين لاهمية القطاع الثقافي في حياتنا. ولا يكفي للردّ على ذلك ان يكون وزير التربية قد وزّع اخيرا منحا معينة على بعض الادباء والفنانين اللبنانيين ... فبالرغم من ان هذه البادرة ، بحدّ ذاتها ، ايجابية ، ومن ان اديبين من اتحادنا قد نالا منحتين منها ، وهما يستحقانها بلا جدال ، فان المأخذ على ذلك هو ان يتفرد الوزير بتعيين اصحاب المنح ، من غير مبدأ يرتكز عليه ، او لجان متخصصة يعهد اليها في الامر ، بحيث بدا قراره في توزيع هذه المنح قائما على الهوى والارتجال ، كما كان قراره المتعلق بالغاء المساعدات عن كثير من الجمعيات الادبية وابقائها لبعضها الآخر من غير تبرير ..

هذا المظهر هو طبعا جزء من كل هو التنكر لامر الثقافة في لبنان .

وهذا ما يرمي اليه اتحاد الكتاب اللبنانيين من الدعوة الى عقد هذا المؤتمر .

ولكننا سنؤجل موعد انعقاده الى ما بعد نهاية نيسان القادم حتى لا يسحقه طاغوت الانتخابات النيابية !

* * *

٣ ـ غيابنا ... حتى عن قضايانا !

مثقفونا ، وخاصة منهم كتابنا ، غائبون عن قضايا الفكر العالمي .

ولعل احد الاسباب التي تجعل فكرنا العربي ضعيف الحضور في اوساط العالم الثقافي ، انه لا يشارك في المشكلات التي يواجهها المثقفون . والتي اصبح الاهتمام بها جزءا من كرامة الفكر العالمي ووحدته .

ان في العالم كله اليوم حركة احتجاج عنيفة على القمع والاضطهاد الذين تمارسهما السلطات الايرانيه على اعداد كبيرة من المثقفين الايرانيين الذين ينتمون الى المعارضة او المقاومه . وقد نشر في باريس في الشهر الماضي رسالة وقعها زهاء ثلاثمئه شخصيه سياسية وادبيه بينهم بيترو نيني وبابلو نيرودا وجان بول سارتر وسيمون دو بوفوار وايف مونتان وجان لوي بارو ووجهوها الى رئيس وزراء ايران يحتجون فيها على سوء معاملة المعتقلين السياسيين وعلى الاعتقالات التعسفيه والتعذيب والمخالفات القانونيه وانتهاك حق الدفاع القانوني .

وبفضل شجاعه الطلاب العرب ، السوريين والجزائريين الموجودين في باريس ، فررت جريدة «لوموند» اخيرا ان تتحدث عما يجري في ايران . فنشرت رسالة مناضل ايراني يدعى رضا رضائي كان بين سبعه وثلاثين شخصا اوقفتهم السلطات الايرانيه في آب الماضي ، فنجح في الفرار ووفق الى اخراج رسالته هذه الى الراي العام العالمي وفيها يتحدث عن الوان التعذيب التي اصابته او التي شاهدها وهي تمارس على رفاقه .. وفي هذه الرساله تفاصيل عن التعذيب تقشعر لها الابدان ، وتذكرنا بمجرمي الحرب الفرسيين — وعلى راسهم الجنرال ماسو — في اثناء الثوره الجزائرية .. ويوضح رضا رضائي ان الذين يمارسون هذا التعذيب هم عملاء الشرطة السياسية الايرانيه (السافاك) الذين تدربوا على « الطرق الاسرائيلية والاميركية » ، ويضيف ان مستشارين اجانب ، اسرائيليين واميركيين . يعملون على تطبيق انجع الاساليب في التعذيب ..

ووجود هؤلاء الاسرائيليين في جهاز القمع الايراني ذو دلالة بالنسبه الينا نحن العرب . فلا ريب ان تعاطف رجال المقاومة الايرانيين مع القضية الفلسطينية ورجال المقاومة الفلسطينيين هو الذي حدا بالسلطة الايرانية الى الاستعانة بجهاز القمع الاسرائيلي والاميركي ... فلقد اعتقل الكاتب جلال آل احمد لانه كتب بعد حرب حزيران مقالا هاجم فيه الصهيونية وعدوانها على العرب ، وحكم على الشاعر الوطني نعمت ميرزا زاده بالسجن لتعاطفه مع القضية الفلسطينية . وكان التعذيب نصيب الكاتب علي اكبر هاشمي ، وهو رجل دين ، لانه تجرأ فالف وترجم عن هذه القضية ، وهناك العشرات بين المعتقلين السياسيين يحاكمون بتهمة الاتصال بحركة المقاومة الفلسطينية . وقبل سنة ، حوكم ثمانية عشر مواطنا ايرانيا بتهة انتمائهم الى « مجموعة فلسطين » التي كانت تنوي الانضمام الى الثورة الفلسطينية . فاعتقلتهم السلطة وعذبتهم ، وذكر المحامي تيري مينيون الفرنسي الذي شاهد محاكمتهم ، واشترك في المؤتمر الصحفي الذي اقامه اتحاد الطلبة الايرانيين في اواخر العام الماضي بباريس بصفته ممثلا للجنة حقوق الانسان الدولية ، ذكر ان المتهمين قد تعرضوا للتعذيب بعد اعتقالهم مباشرة ، ورأى بعينيه آثار التعذيب في اجسادهم « لانهم كانوا يعارضون نظام الشاه ولا يخفون تعاطفهم الايديولوجي مع القضية الفلسطينية » .

وقد ذكرت الصحف هذا الشهر ان محاكمة المناضلين ورجال المقاومة الايرانيين ، وفيهم كثير من المثقفين والمهندسين والمحامين . تجري في طهران بنشاط وسرعه ، وتنتهي غالبا الى الحكم بالاعدام على كثيرين منهم ..

ومع ذلك ، فاننا نحن المثقفين العرب ، المعنيين بهذه القضية على صعيد انساني عام وعلى صعيد قومي خاص ، غائبون لا نقوم بحركة ولا ننبس بكلمة ..

صحيح اننا لن ننقذ المعتقلين في ايران ، ولكن الا نستطيع ان نعبّر عن « اضعف الايمان » بأن نضمّ صوتنا الى اصوات مثقفي العالم بالاحتجاج على ما يتعرض له من اضطهاد وقمع اخوة لنا في النضال وشركاء على درب الكفاح المسلح ؟

★ ★ ★

٤ ــ معركة بين ادونيس ونزار قباني ..

شغلت الجرائد والمجلات اللبنانية في الشهر الماضي بنقل وقائع الخلاف بين الشاعرين نزار قباني وادونيس حول الملكية الادبية للحديث الذي ادلى به نزار لمجلة « مواقف » ونشر في العدد ١٦ من تلك المجله ..

واعرض هذه الوقائع فيما يلي :

اساس الخلاف ان ادونيس يعتبر الحديث ملكا لمجلة « مواقف » ولا يجوز نشره الا بأذنها ، في حين يرى نزار ان ما ينشر في المجلات الادبية والصحف لا يلغي حق الكاتب في التصرف بما كتبه ، وعلى هذا الاساس اقدم نزار على نشر الحديث في كتيب صدر اخيرا تحت عنوان «عن الشعر والجنس والثورة » .

وقد بدأ الحملة ادونيس في جريدة « الانوار » فذكر انه فوجيء بنشر الحديث الذي هو حلقة من سلسلة احاديث تنظمها مجلة « مواقف » وهو خاص بها ، وحقوق نشره لها او هي على الاقل شريكة اساسية فيه ، كما قال ان هذه السلسلة مهيأة بوجهة نظر خاصة ، بحيث تشكل دراسة جديدة للشعر العربي المعاصر ، ونزار قباني افسد بعمله هذا مشروع هذه السلسلة ..

ويضيف ادونيس قوله : أليس نزار قباني من الذين اثاروا في المرحلة الاخيرة عمق الهوة بين القول والفعل في الحياة العربية ، فكيف يقبل ان يكون اكثر امانة «للسوق» منه للحقيقة والشعر ؟

وقد ردّ نزار قباني في « الانوار » وفي «الجمهور» رافضا مرتكزات ادونيس القانونية ، ومشيرا الى امثلة وسوابق في الحياة الادبية العربية تناقض اقوال ادونيس وتجعل القانون الى جانب نزار (كما قال المحامي باسم الجسر حين طرحت عليه هذه القضية)

يقول نزار مبررا عمله ما يلي :

١ ــ اذا كان ادونيس يتحدث عن الحقوق ، فاني اسأل عما دفعته مجلة « مواقف » لي لقاء اجراء هذا الحديث ، ليكون للمجلة حق مكتسب على المواد التي تنشر فيها ؟ وما دام الاستكتاب جرى بالمجان ، فان حقوق نشر الكلام تبقى لمن قال الكلام .

٢ ــ انني تصرفت بافكاري ، وهذا من ابسط حقوقي ، ولا اعتقد ان قانونا في الدنيا يمنع الكاتب من التصرف بما يكتب ، الا اذا كان هناك عقد يتخلى بموجبه الكاتب عن حقوق نشر ما يكتبه لجريدة او مؤسسة نشر ، ومثل هذا العقد غير موجود بيني وبين مجلة« مواقف ».

٣ ــ يقول ادونيس ان هذا الحديث هو حلقة من سلسلة مهياة لتنشر في « منشورات مواقف ».والمنشورات هذه شيء غيبي وغير موجود ، ولو كانت « منشورات مواقف » موجودة لما نشر ادونيس آثاره الشعرية الكاملة لدى ناشر آخر ..

٤ ــ انني لا اتدخل في مواقف ادونيس ولا اقيّمها . فهي شيء يعنيه هو ، ولكنني لا اسمح له ان يضعنا ــ بدعوى الثورية ــ معه في « قارورة ضيقة » ويفرض علينا نظام « منع تجول » كالذي فرضه على نفسه في الوطن العربي ، كما فعل في ندائه الموجه الى الشعراء الذين اشتركوا في مهرجان ابي تمام في الموصل ، متهما اياهم بالازدواجية والنفاق لانهم قبلوا دعوة الحكومة العراقية التي لا تسمح لكتبه بدخول العراق.

ويضيف نزار قائلا : ان ادونيس ، بندائه هذا ،يريد ان يجعل من قضيته الشخصية مع الدول العربية التي تمنع دخول كتبه مركز ثقل العالم العربي .وكل من لايدافع عن الفكرالادونيسي هو في نظره ازدواجي وغير ثوري !

٥ ــ اما الشواهد والسوابق على ان حق الكتابة هو لمن كتبها فكثيرة : في مصر نشر توفيق الحكيم مسرحياته في جريدة « الاهرام » ، وحين انتهت السلسلة طبعها توفيق الحكيم في كتاب (علما بانه تقاضى من الجريدة ثمن المسرحيات) . و« حديث الاربعاء » لطه حسين نشر في الصحف اليومية المصرية ، ثم اصدره طه حسين لحسابه في كتاب . وكذلك يقال في روايات نجيب محفوظ ويوسف ادريس الخ ..

هذه هي وقائع « المعركة » التي قامت بين الشاعرين.

ونحن نعتقد انها لم تكن تستحق ان تكون«معركة» . .

فلا نظن ان هناك صاحب مجلة في العالم سبق ان احتج على كاتب نشر في كتاب مادة كانت قد نشرت في تلك المجلة ، سواء أكان الكاتب قد تقاضى اجر هذه المادة ام لم يكن قد تقاضاه . ولو حدث مثل هذا الاحتجاج ، لكان دليلا على رغبة في الاستغلال يجب ان يتنزه عنها رجال القلم .

ومع ذلك ، فلو ذكر نزار قباني ان حديثه هذا قد نشرته مجلة « مواقف » ، اما كان يتجنب الدافع الوحيد « لاصطناع » هذه « المعركة » ؟

سهيل ادريس

سليمان فيّاض

العيون

مجموعة قصصية جديدة لهذا القصاص الفنان الذي يعد في طليعة القصاصين العرب تعبيرا عن ازمة الانسان العربي في المجتمع الحالي .

صدر حديثا — الثمن ٣٠٠ ق.ل.